



خطبة صلاة الجمعة 13/9/2024 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(هدي رسول الله ﷺ في النصيحة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفية وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].
وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين: الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال: ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

فأحسن الهدي هدي محمد، أي أحسن الطريق والهداية والدلالة والإرشاد هدي رسول الله محمد

ﷺ.

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد ﷺ نتابع سلسلة بدأناها قبل سنوات في شهر المولد عنواؤها: (هدي رسول الله ﷺ).

نتابع هذه السلسلة لنكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننال الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أنّ الكمال البشري معقودٌ في رسول الله ﷺ، فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذا حذوه ﷺ سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

عنوان خطبة اليوم:

هدي رسول الله ﷺ في حفظ نعمة الماء

أيها الإخوة:

اليوم العالمي للمياه، البنك الدولي للمياه، حروب المياه، اتفاقية مياه عالمية، لاجئو المياه... هذه مصطلحات ولها أشباه ترد اليوم على ألسنة الساسة والإعلاميين والمثقفين. وترد كلمة (الماء) في القرآن الكريم ثلاثاً وستين مرة، ويوصف عرش الرحمن بأنه قائم على الماء، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7]، كما يوصف النعيم بأنه جنات: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾، بل إن الله عز وجل جعل من الماء كل شيء حي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

وتنعدم الحياة — كما تعلمون — في الكواكب التي لا ماء فيها، والماء أداة الطهارة الأولى في التشريع الإسلامي.

وقد قرأت في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ نعمة الماء الآتي:

أولاً: هني رسول الله ﷺ عن احتكار الماء وحبسه:

روى ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ثلاثة لا يُمنَعن: الماء، والكأ، والنار» وفي رواية: «الناس شركاء في ثلاث: الماء، والكأ، والنار».

وأخرج أبو داود عن بُهيسة قالت: استأذن أبي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، حَدِّثْنِي: مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ؟ قال: «الماء».

قال العلماء: (ماء الأنهار والبحار وماء العيون والأمطار، هذه الأنواع كلها ملك للناس جميعاً ليس أحد أولى بها من أحد، وهي لا تباع ولا تشتري ما دامت في موضعها، أما إذا أحرز الإنسان الماء وحازره أصبح ملكاً له، وحينئذٍ يجوز بيعه ويكون في هذه الحال مثل الحطب المباح أخذه الذي يحل إحرازه، وكذا إذا حفر بئراً في ملكه أو وضع آلة لاستخراجه فإنه يجوز بيعه في هذه الحالات، على أنه من الأفضل له التصديق به، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها بئر تسمى بئر رومة يملكها يهودي ويبيع الماء منها للناس فأقره على بيعه وأقر المسلمين على شرائهم منه، واستمر الأمر على هذا حتى اشتراها عثمان رضي الله عنه ووقفها على المسلمين). (فقه السنة للسيد سابق)

فالحاصل كفلت الشريعة حق الناس جميعاً في الماء، وشددت على تحريم احتكاره وحبسه لتحقيق الأمن المائي للناس كافة.

ثانياً: نهى رسول الله ﷺ عن هدر الماء ودعا إلى ترشيد استهلاكه:

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ». الصاع أربعة أمداد، والمد يزيد على نصف الليتر بقليل.

وأخرج الإمام أحمد عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَمْ يَكْفِينِي مِنَ الْوُضُوءِ؟ قَالَ: مُدٌّ. قَالَ: كَمْ يَكْفِينِي لِلْعُسْلِ؟ قَالَ: صَاعٌ، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا يَكْفِينِي. قَالَ: لَا أُمُّ لَكَ. قَدْ كَفَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وأخرج عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: "مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟" قَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ».

ثالثاً: نهى رسول الله ﷺ عن تلويث الماء:

أخرج أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ».

والمقصود بالموارد موارد الماء كالأنهار والعيون والآبار... إلخ. والملاعن أي الأعمال التي تورث لعن الناس لفاعلها.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّكِدِ».

وفي حديث آخر عند الطبراني عن جابر: «تَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي».

فكل من يلوث المياه يعصي الله تعالى ويستحق لعنة الناس. وبهذا حفظ الإسلام مصادر الماء نظيفة نقية.

رابعاً: حث رسول الله ﷺ على صدقة الماء وسقيه:

أخرج الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ».

وأخرج ابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُصَفُّ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفًا، فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتَكَ شَرْبَةً، قَالَ: فَيَشْفَعُ لَهُ، وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتَكَ طَهُورًا، فَيَشْفَعُ لَهُ، وَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي فِي حَاجَةٍ كَذَا وَكَذَا فَذَهَبْتُ لَكَ، فَيَشْفَعُ لَهُ».

خامساً: دعا رسول الله ﷺ إلى التوجه إلى الله تعالى بدءاً لطلب السقيا، وختماً بحمده وشكره على سقياه.

فصلاة الاستسقاء مشهورة، وأدعية الاستسقاء عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا مَرِيئًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ» (أبو داود).

وأخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا».

أيها الإخوة:

هذه خمسة في هدي النبي ﷺ في التعامل مع نعمة الماء: نهي عن احتكاره وهدره وتلويثه وحث على التصديق به، وعلمنا الاستسقاء بدءاً وشكر الله على سقينا الماء ختماً.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين